كلمة الحياة

كانون الأوّل/ ديسمبر 2024

"ما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ" (لوقا 1، 37).

تُروى هنا قصّةُ البشارة. يدخل الملاك إلى مريم التي هي من الناصرة ليُعرِّفَها بمخطّطاتِ الله عليها: ستَحمِلُ وتلِدُ ابنًا اسمُه يسوع، "سيكون عظيمًا واَبنَ اللهِ العَليِّ يُدعى"[1]. تأتي هذه الحادثة بتتابُعيّة مع أحداث أخرى في العهد القديم، أدّت إلى ولادات عجيبة لدى نساء عواقر أو طاعنات في السنّ، كان على أبنائهنّ أن يؤدّوا دورًا مهمًّا في تاريخ الخلاص. هنا مريم، ومع أنَّها تريد أن تلتزم بحريَّة تامَّة برسالتها كأمِّ المسيح، تتساءل كيف سيتمُّ ذلك وهي عذراء. يؤكّد لها جبرائيل أنّ ذلك لن يكون من صنع البشر: "الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقُدرَةُ العليِّ تُظَلِّلُكِ"[2]. ويُضيف: "ما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ"[3].

"ما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ"

هذا التطمين الذي يعني أنّه ما من إعلانٍ أو وعدٍ من الله إلّا وسيتحقَّق- لأنّ ما من شيء غير ممكن عنده- يمكن صياغتُه أيضًا بهذه الطريقة: ما من شيءٍ غيرَ ممكن **مع** الله. في الواقع، إنّ الفروق الدقيقة في النصّ اليونانيّ "مع، أو بالقرب، أو بمعيّة الله"، تسلّط الضوء على قربِه من الإنسان. فما من شيءٍ غيرَ ممكنٍ عندَ الإنسان أو البشر، عندما يكونون مع الله ويتعلّقون به بحرّيّة.

"ما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ"

كيف نطبّق كلمة الحياة هذه؟ أوّلاً من خلال إيمانٍ واثقٍ أشدَّ الثقة بأنّ الله قادرٌ على العمل حتّى داخلَ محدوديَّتِنا وضعفِنا وأبعدَ منهما، وكذلك في أحلكِ ظروفِ الحياة.

لقد كان هذا اختبارَ ’ديتريش بونهوفر‘ الذي كتب أثناء سجنِه الذي أوصلَهُ إلى التعذيب: "يجب أن نغوصَ مرارًا وتكرارًا في حياةِ يسوع وكلامِه وتصرّفِه وآلامِه وموتِه لكي ندرك ما وعدَ الله به وحقَّقَه. من المؤكَّد [...] أنّه لم يعد هناك مستحيلٌ عندنا لأنّه لا يوجد مستحيلٌ عند الله؛ [...] من المؤكَّد أنّه ليس علينا أن نتطلّب أيَّ شيء ومع ذلك يمكننا أن نطلبَ كلَّ شيء؛ من المؤكَّدِ أنّ فرحَنا يختبئ في الآلام،

1لوقا 1، 32.
2لوقا 1، 35.
3لوقا 1، 37.

كما أنَّ حياتَنا مختبئةٌ في الموت... فلكلّ هـذا قـال اللـه ’نعم‘ و’آمين‘ في المسـيح. هاتان الـ’نعم‘ والـ’آمين‘ هما الأرضُ الصلبة التي نحن عليها"[4].

"ما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ"

يؤدّي البُعدُ الجماعيّ دورًا حاسـمًا في سـعينا إلى تخطّي مـا يبـدو "غـيرَ ممكن" في نواقصنا، للوصول إلى مـا هـو "ممكن" من أجـل حيـاة متماسـكة؛ هـذا البعـد الـذي يتطوّر حيث يعيش التلاميذ في ما بينهم وصيّةَ يسوع الجديدة، ويتركون قوّةَ المسيح القائم من الموت تسكنُهم كأفراد وكجماعة. كتبَت كيارا لوبيـك في عـام 1948 إلى مجموعة من الشباب الرهبان: "إلى الأمام! لا بقوّتنا الهزيلـة الضـعيفة، بـل بالقـدرة التامّـة الـتي تملكُهـا الوحـدة. لقـد رأيتُ ولمسْـتُ لمسَ اليـد أنّ اللـه بيننـا يصـنع المستحيل: يصنع المعجزة! إن نحن بقينا أوفياء لما تسـلّمناه من أمانـة [...] سـوف يرى العالم الوحدة ومعها ملءَ ملكوتِ الله"[5].

منذ سنوات، عندما كنت في أفريقيا، كنت ألتقي في كثير من الأحيان بشـباب كـانوا يرغبون في أن يعيشوا كمسـيحيّين، وأخـبروني عن الصـعوبات العديـدة الـتي كـانوا يواجهونهـا يوميًّا في محيطهم من أجـل البقـاء أمنـاء لالتزامـاتِ الإيمـان ولتعـاليمِ الإنجيل. كنّا نتحـدّث عن ذلـك لسـاعات، وفي النهايـة، كنّـا نصـل دائمًـا إلى النتيجـة نفسِها: "كلٌّ بمفرده، هذا مستحيل، ولكن معًا، يمكننا أن ننجح". يسوع نفسُه يضمن ذلك عندما يعدُنا: "حَيثُما اجتَمَعَ اثنانِ أو ثلاثةٌ بِاسمِي (بمحبّتي)، كُنتُ هُنـاكَ بَينَهم"[6]. ومعه كلُّ شيء ممكن.

إعداد آوغوستو ارودي رايس ولجنة كلمة الحياة

4D. Bonhoeffer, Resistenza e resa, ed. San Paolo, Cinisello Balsamo 1988, p. 474.
ديتريش بونهوفر (1906-1945) كان لاهوتيًا وقسًا لوثريًا ألمانيًا، وشخصيّة بارزة في مقاومة النازيّة.
5C. Lubich, Lettere dei primi tempi. Città Nuova, Roma 2010, p. 164.
6متّى 18، 20.